

مظاهر الشيخوخة في القرآن الكريم



بقلم:

أ.د. صلاح أحمد حسن

أستاذ ورئيس قسم العيون

الأسبق بطب أسيوط

كانت عليه من اكتمال النمو والقوة عند سن الأربعين، يقول تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ الأحقاف ١٥

(٣) الضعف الجنسي
وضعف القدرة على الإنجاب:
أشار القرآن الكريم إلى حقيقة سن الأياس عند النساء في قوله تعالى على لسان امرأة إبراهيم عليه السلام: قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا - هود ٧٢ «البعل السيد والزوج» والأياس عند النساء هو المحطة النهائية التي تتوقف عندها قدرة المرأة على الإنجاب، حيث تنخفض درجة خصوبة المرأة تدريجياً من بعد سن الثلاثين، وأما الأياس عند الرجل فيكون على شكل ظواهر نفسية أو اجتماعية والقليل من المظاهر البيولوجية، وبالرغم من الشك في إمكانية تواجد سن اليأس عند الذكور، «مقارنة بالإناث» إلا أن النقص في الهرمونات الذكرية بداية من أعمار الأربعين والستين، قد يصحبه نقص في الرغبة الجنسية، وقد تحدث العنة «عدم الانتصاب» والضعف العام، بالرغم من الاستمرار في تكوين الحيوانات المنوية في الخصيتين، وكلها

٣٠ عاماً ثم يبدأ في التنازل بعد هذه السن، خصوصاً عند النساء «ربما بسبب كثرة الحمل والرضاع» وأما عن الشعر فمن المعروف أن هناك ثلاثة أنواع من الشعر على حسب الاستجابة لهرمونات الذكورة هي، الشعر غير جنسي «كشعر الحواجب والأطراف» والشعر ثنائي الجنس: وهو الذي يستجيب لمستويات منخفضة من الهرمونات (مثل شعر الإبط) والشعر الجنسي: وهو يستجيب عالياً من الهرمونات الذكرية «مثل شعر الوجه والصدر والعانة» وفي مرحلة الشيخوخة ينخفض مستوى الهرمونات الذكرية في الدم، كما يحدث نقص لهرمون تنبيه إفراز صلبغ الميلانين من الفص الأمامي للغدة النخامية فيبدأ الشعر في السقوط، ويظهر الصلع ويحدث الشيب في معظم شعر الجسم، باستثناء شعر الحواجب والرموش.

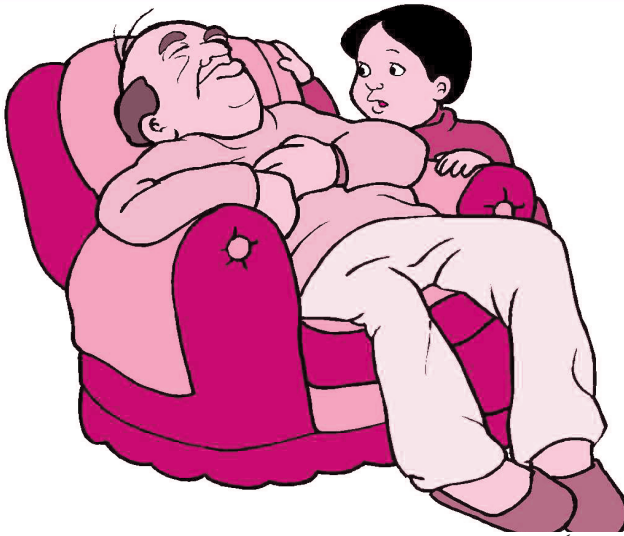
(٢) الوهن الجسماني:

الوهن: الضعف وذبول الحيوية، يقول تعالى ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ الروم ٤٠ ويقول تعالى ﴿ثُمَّ لَتَبَلَّغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لَتَكُونُوا شِيخًا﴾ غافر ٦٧، والوهن الجسماني يحدث كنتيجة مباشرة لنقص الهرمونات الذكرية فتبدأ كتلة الجسم العضلية في الانكماش، كما تقل التغذية الدموية للعضلات بشكل عام، نتيجة لأمراض الشيخوخة المصاحبة مثل تصلب الشرايين وقصور الدورة الدموية الطرفية، مما ينتج عنه انخفاض في معدل التمثيل الغذائي للعضلات، فيصيبها النحول، والترهل والضعف مقارنة، بما

وَاشْتَغَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا - مريم ٤» ووهن العظم «لين عظام الشيخوخة أو هشاشة العظام» عبارة عن حالة من الهشاشة العامة التي تعترى عظام الجسم، التي فقدت الكثير من الكالسيوم، وتظهر أعراضها في النساء أكثر من الرجال، حيث تشكو المريضة «أو المريض» من آلام الظهر، أو نقص القامة نتيجة كسور العمود الفقري أو تكرار حدوث الكسور في العظام إما تلقائياً أو نتيجة للتعرض لإصابات خفيفة، خصوصاً عنق عظمة الفخذ والرسغ والضلوع والعمود الفقري، ومن المعروف أن المحتوى المعدني للعظام من الكالسيوم والفسفور يبلغ أوجه في المرحلة العمرية ما بين ٢٠ -

الشيخوخة هي المرحلة العمرية التي تبدأ من الخمسين، والشيخ هو من جاوز الخمسين إلى آخر العمر، نص عليه ابن قدامة في «الكافي» وقال أبو إسحاق إبراهيم الطرابلسي في «الكفاية»: إذا رأى الشيب فهو أشيب وأشمت، فإذا استبان فيه الشيبة فهو شيخ فإذا ارتفع عن ذلك فهو: قحم وقحر، فإذا قارب الخط فهو: دالف فإذا زاد عن ذلك فهو: هرم، ورهيم، فإذا ذهب عقله من الكبر فهو: خرف، وقد جاء ذكر الكثير من مظاهر الشيخوخة في القرآن الكريم ومن ذلك «١» وهن العظم وشيب الشعر: يقول تعالى على لسان زكريا «عليه السلام» ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي





(٨) شدة التعلق والخوف

على الأبناء والأحفاد: يقول تعالى على لسان يعقوب «عليه السلام» ﴿قَالَ إِنِّي لِيَحْزَنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ «يوسف ١٣»، ويقول تعالى: ﴿وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ﴾ «يوسف ٦٧»، ويقول تعالى ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ يَوْسُفَ﴾ «يوسف ٨٤».

ويقول تعالى ﴿يَا بَنِيَّ أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يَوْسُفَ وَأَخِيهِ﴾ «يوسف ٨٧».

(٩) القلق على الذرية بعد

الموت: يقول تعالى ﴿وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضِعْفًا﴾ - البقرة ٢٦٦. ويقول تعالى ﴿وَلِيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعْفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ «النساء ٩».

(١٠) الصراع بين

الواجبات الدينية والرغبات الدنيوية: يقول تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام ﴿قَالَ يَا بَنِيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ «الصافات ١٠٢». وصدق الله العظيم القائل في كتابه العزيز: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾ «الأنبا ٢٩».

«وقائياً» ضد اكتئاب الشيخوخة ، يقول تعالى: ﴿وَفَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَلْعُنُكَ الْكَبِيرُ أَحَدُهُمَا أَوْ كَلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٌ وَلَا تُنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ «الإسراء ٢٣».

ويقول تعالى على لسان نبي الله إبراهيم «عليه السلام».. ﴿قَالَ أَبَشِّرْهُمُونِي عَلَىٰ أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ تَبْشُرُونَ﴾ «الحجر ٥٤».

(٦) انتكاس الحواس مع الشيخوخة: يقول تعالى: ﴿وَمَنْ نَعْمَرَهُ نَكَسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْلَمُونَ﴾ «يس ٦٨».

والانتكاس يشمل الملكات الذهنية والحسية فيعود الطاعن في السن إلى مرحلة الطفولة من جديد وقد يفقد السيطرة على التحكم في الإخراج، ويصعب التوافق العصبي - الحركي فيصبح المسن عرضة للسقوط، وقد يجد صعوبة في تناول الطعام فيلوث ملابسه ويصبح النوم متقطعاً، وغير ذلك الكثير.

(٧) عدم القدرة على العمل والكسب: حيث تنتقل مسؤولية الكسب إلى الأبناء يقول تعالى على لسان ابنتي رجل مدين: ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يَصْدُرَ الرَّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ «القصص ٢٣».

«الرعاة: من يحفظ الأغنام والماشية ويرعاها»

«الحج ٥».

ضعف البصر: من أهم أمراض الشيخوخة المياه البيضاء «الكاتاركتا» و«الجلوكوما» المياه الزرقاء وتلف الشبكية الشيخوخى والسكري، وكلها أمراض تضعف من حدة الإبصار وقد تؤدي إلى فقدان البصر كلية. وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة عند ذكر نبي الله يعقوب «عليه السلام»: ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ يَوْسُفَ وَأَبْيَضْتُ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ «يوسف ٨٤» «الأسف: الألم والحزن، والأسيف: الرقيق القلب البكاء».

اكتئاب الشيخوخة: يعزى الاكتئاب الشيخوخى إلى عوامل عدة منها البيولوجية كالاضطراب الذى يصيب الناقلات العصبية فى الدماغ، واضطراب افراز الهرمونات المختلفة من الغدد الصماء، أو بسبب الفواجع النفسية مثل فقد الأبناء أو الزوجة والأحباب، أو بسبب ظروف اجتماعية معينة كالوحدة، أو ضيق العيش، أو تغير الظروف المحيطة، وغيرها ويتراوح الاكتئاب ما بين النوع البسيط والنوع الشديد المزمّن، ويصيب النوع الشديد من الاكتئاب ٣٪ ممن هم فوق الستين. وأما الأعراض الاكتئابية العامة فتصيب ٢٧٪ من المسنين فى المجتمع وتزيد هذه الأرقام كثيراً بالنسبة للمسنين المقيمين فى دور الضيافة ومؤسسات الرعاية الاجتماعية والمستشفيات، كما ترتفع نسبة الانتحار بين المسنين عن البالغين خصوصاً الذين يهاجمهم الضعف المعرفى أو ضعف الوزع الدينى أو المصابين بأمراض خطيرة وربما كانت الإشارة القرآنية بضرورة إقامة الوالدين أو أحدهما عند الأبناء عند الكبر، مع حسن المعاملة، واللين فى القول، علاجاً

عوامل تؤدي إلى ضعف المقدرة على الإنجاب، «لكن لا نجزم بعدم الحدوث» وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة فى قوله تعالى ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾ آل عمران ٤٠ ويقول تعالى على لسان نبي الله إبراهيم «عليه السلام» ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ «إبراهيم ٣٩».

(٤) شدة الرغبة فى إنجاب الذرية: يقول تعالى ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ آل عمران ٢٨ ويقول تعالى: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ «يُزَيْتِي وَيُزِيَّتِي مِنَ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ مريم ٥، ٦.

(٥) التغيرات النفسية والعصبية: مثل شدة المرض والاعتلال، وقد أسماها القرآن الكريم «وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء» البقرة ٢٦٦ والإصابة: الشدة والنازلة وكل مكروه يحل بالإنسان والكبر الطعن فى السن، وهى إشارة قرآنية جامعة مانعة لكل امراض الشيخوخة، سرعة وشدة التأثر بالصدمات النفسية، يقول تعالى ﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يَوْسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ «يوسف ٨٥» الحرض: شدة المرض، والهلاك: الموت. ضعف الذاكرة والنسيان وخرف الشيخوخة: فهناك ضعف بالذاكرة الطبيعى الذى يزداد بتقدم العمر، وأكثر ما يتأثر به الذاكرة القصيرة ومتوسطة المدى «مثل تذكر المواعيد والأسماء واسترجاع المعلومات من الجريدة أو الكتاب»، وهناك فقدان الذاكرة المرضى «الزهايمر» أو خرف الشيخوخة الذى يفقد فيه المريض تدريجياً الإحساس بالزمان والمكان فلا يتذكر الأحداث اليومية أو أماكن حاجياته وغيرها يقول تعالى: ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يَرُدُّ إِلَىٰ أَرْضِ الْعَمْرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾